



الاختلاف في مرجع ضمير
الغيبه في قصة يوسف عليه السلام
وأثره في المعنى

دكتور

أحمد ناصر السوهاجي

دكتوراه في اللغة العربية وآدابها

العدد العشرون

للعام ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م

الجزء الثالث

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠ / ٢٠١٦م

التوقيع الدولي ISSN 2356-9050

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله الذي يعلمُ مكنوناتِ الضمائرِ، وما تُسرُّ النفوسُ وتُخفي السرائرُ،
والصلاة والسلامُ على المبعوثِ بخيرِ الشرائعِ والشعائرِ، وعلى آلهِ الطيبينِ
وصحبهِ الطاهرينِ، ومن همُ بهديهِ منائرُ لكلِّ سائرٍ.

أما بعدُ،

فإنَّ اللفظَ القرآنيَّ في موقعه المكانيَّ اختياراً وترتيباً ربانيَّ، ومن تلكِ
الألفاظِ القرآنيةِ الضمائرُ بأقسامها الثلاثة: التكلمُ، والخطابُ، والغيبةُ.

ولا بدَّ لكلِّ ضميرٍ غيبيةٍ من مرجعٍ يرجعُ إليه، وقد يؤدي الموقعُ المكانيُّ
لضميرِ الغيبةِ في الجملةِ على نحوٍ ما إلى احتمالٍ أكثرَ من مرجعٍ له، الأمرُ الذي
يعني تعددَ المعاني؛ لأنَّ كلَّ مرجعٍ - غالباً - يعطي معنىً مختلفاً!!

وهذه ظاهرةٌ لها وجودٌ مشهودٌ في التركيبِ القرآنيِّ؛ إذ سمحَ ترتيبُ
بعضِ تراكيبهِ في ضوءِ السياقِ بالاختلافِ في مرجعِ ضميرِ الغيبةِ.

هذا من ناحيةٍ، ومن ناحيةٍ أخرى من يتأملُ في آياتِ الذكرِ الحكيمِ يلحظُ
أنَّ لضميرِ الغيبةِ ظهوراً كبيراً في القصصِ القرآنيِّ؛ وهذا أمرٌ يتطلبُهُ سردُ
الأحداثِ، وهو يعني - منطقياً - أنَّ طولَ الأحداثِ يقتضي كثرةً في عددِ ضمائرِ
الغيبةِ مع تنوعِ فيها.

من هذا المنطلقِ كانَ هذا البحثُ للبرهنةِ التطبيقيةِ على ما سبق؛ لإثباتِ
كيفيةِ إسهامِ الاختلافِ في مرجعِ ضميرِ الغيبةِ في تنوعِ المعاني مما يُعَدُّ إعجازاً
بالإيجازِ وسراً من أسرارِ البيانِ القرآنيِّ، ولإعطاءِ أنموذجٍ قصصيٍّ خصبٍ لضميرِ
الغيبةِ على اختلافِ أنماطِهِ .



وقد وقع اختياري على قصة يوسف عليه السلام لطول أحداثها مع عدم تكرار ذكرها بعيداً عن سورة يوسف التي كان غالب آياتها - من الآية ٤ إلى الآية ١٠٢ - عرضاً لأحداث القصة الكريمة.

وسمتهُ بـ " الاختلاف في مرجع ضمير الغيبة في قصة يوسف عليه السلام وأثره في المعنى " .

وقسمتهُ إلى: مقدمة، وتمهيد، وخمسة مواضع، وخاتمة.

- أما المقدمة فاشتملت على هيكل البحث.

- وأما التمهيد فاشتمل على عرضٍ لدور الاختلاف في مرجع الضمير في تنوع المعاني، ثم عرضٍ لضمير الغيبة في قصة يوسف عليه السلام.

- وأما المواضع الخمسة فهي النماذج التطبيقية لإظهار أثر الاختلاف في مرجع ضمير الغيبة في تنوع المعاني المرادة عند سرد أحداث قصة يوسف عليه السلام.

- وأما الخاتمة فاشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

وكلي أمل أن يكون هذا البحث من خالص العمل.

والله من وراء القصد



تمهيد

* الاختلاف في مرجح الضمير وتنوع المعنى :

الضمير^(١) عند النحاة: "عبارة عما دلَّ على متكلم كـ(أنا)، أو مخاطب كـ(أنت)، أو غائب كـ(هو)، وينقسم إلى بارز، ومستتر؛ لأنه لا يخلو: إما أن يكون له صورة في اللفظ أو ليس له صورة، فالأول البارز كـتاء "قمت" والثاني المستتر كالمقدر في نحو قولك: "قم"، ثم لكل من البارز والمستتر انقسام باعتبار^(٢).

وهو أعرف المعارف، يقول ابن هشام (ت ٧٦١هـ): "الضمير، وهو أعرف الستة - يعني أنواع المعارف -..."^(٣).

ولهذا يبدأ به النحاة حديثهم عن المعارف^(٤)، ويعلّل سببويه كون الضمير معرفة، فيقول: "وإنما صار الإضمار معرفة؛ لأنك إنما تضمّر اسماً بعدما تعلم أن من يحدث قد عرف من تعني وما تعني، وأنك تريد شيئاً يعلمه"^(٥).

ولا ريب فالضمير له دلالة واضحة محددة؛ لأنه يعيد ذهن السامع أو القارئ إلى مذكور سابق لفظاً أو معنى أو حكماً.

(١) يطلق على الضمير في اصطلاح البصريين (مضمر) اسم مفعول من: أضمرته، بمعنى أخفيته وسترته، وهو بذلك يطلق على المستتر حقيقة، وعلى البارز توسعاً، ويطلق عليه في اصطلاح الكوفيين (كناية أو مكني)؛ لأنه ليس باسم صريح. انظر: التصريح على التوضيح، لخالد الأزهري، (٩٥/١).

(٢) شرح قطر الندى، لابن هشام، ص ٩٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٤) انظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، (٨٨/١).

(٥) الكتاب، لسببويه، (٦/٢).

وعليه، فـ "ظاهرة الإضمار تقوم على ركنين: اسم ظاهر متقدم -غالبًا-، واسم مضمّر متأخر، والرابط بينهما هو ما تركّب في ذهن السامع والمتكلم من تعلق أحدهما بالآخر، وترتيب هذين الركنين في الأصل ملزمٌ بتقدم الاسم الظاهر وتأخر المضمّر الغائب.

وذلك؛ "...لأنّ الضمائر ملبسةٌ باعتبارِ حقائق مدلولها لصحة إطلاقها على المختلفات، لأنك إذا قلت: (قاموا) وما أشبهه احتمل الزيدان والعمران والمسلمين والمشركين، فأردوا ألا يعيدوها إلا على ما يتقدم ذكره وفقاً لهذا الإلباس"^(١).

والوقوف عند الركنين السابقين ممّا يُعنى به المفسر والمعرب على حدّ سواء؛ لأنّ تحديد مرجع الضمير وتعيين مفسره أمرٌ ضروريٌّ في معرفة المعاني وتوضيحها والكشف عن حقائق الجمل والتراكيب، "فهو يسهم بقسطٍ معتبرٍ في أداء المعاني، فعليه يتوقف في كثيرٍ من الأحيان وضوح الكلام وغموضه، وكثيراً ما يخرج التركيب من تعدد التأويل إلى أحديته بمجرد التصريح بالاسم الذي ناب عنه الضمير في موضعٍ من مواضع ذلك التركيب"^(٢)^(٣).

ومن ذلك يتضح أنّ ظاهرة الإضمار - أعني الضمير وتحديد مرجعه المفسر له - ظاهرة نحوية تركيبية، "أسهمت - في اللغة عامة وفي القرآن خاصة - في إكساب التركيب بدافع الموضوعية أو الذاتية"^(٤) في التوجيه معاني متعددة قد تكون مرادة، وقد يكون المراد منها واحداً، بل قد يكون مراد النص غير ما وجهه المفسر أو المعرب الذي رأى فيه ما يحب أن يراه، ولكنه قد يعسر عليه

(١) أمالي ابن الحاجب، لابن الحاجب، (٧٧٢/٢).

(٢) قضايا اللغة في كتب التفسير، د/ الهادي الجطلوي، ص ٣٢٤.

(٣) الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي، د/ محمد بن عبد الله بن حمد السيف، (١١٠/١).

(٤) المراد بالموضوعية عدم الخضوع لمعتقد أو هوى، والذاتية على العكس من ذلك بأن يكون التوجيه خادماً لتوجهات المفسر أو المعرب الفكرية أو العقدية.

أن يقيم الدليل الواضح على ما يجب أن يرى في النص بالاحتكام إلى القواعد اللغوية المشتركة اللهم إلا إذا ما اقترح في شأنها من الانزياح والمراجعة ما يسمح بتطويع القواعد للمقاصد^(١).

ومن ثم يلاحظ أن المعربين قد اختلفوا حول المرجع باختلافهم حول المعنى^(٢)، وتعددت المراجع للضمير الواحد حسب فهم النحاة للمعنى... وقد يُذكر اسمان في السياق اللغوي ويعود الضمير إلى أحدهما، وهنا يلجأ النحاة والمفسرون إلى تفسيرات نحوية وأخرى دلالية في تحديد مرجع الضمير، وقد تجرهم تلك التفسيرات الدلالية إلى اللجوء إلى ظروف خارج النص القرآني هي سياق الحال؛ فيحكمونها في تحديد المرجع^(٣).

وعليه، فالضمان التي هي محل تنازع واختلاف في مرجعها تعدد... ميدان إبداع وإعجاز؛ لكونها منسبة باعتبار حقائق مدلولها بصحة إطلاقها على المختلفات وإمكان رجوع الضمير إلى أكثر من اسم الظاهر الذي يؤول إليه الاسم المضمّر^(٤).

وإنه ليحصل "... من وراء هذه الظاهرة عرض بلاغي، وهو تعجيز هؤلاء الذين نزل فيهم القرآن أن يأتوا بمثله، وفيه ثراء للأسلوب، فقد وصلت أوجه التعدد إلى أربعة أو خمسة أوجه^(٥)، وقد تزيد عن ذلك.

قال الشيخ عبد الخالق عزيمة & (ت ١٤٠٤ هـ) : "أسلوب القرآن معجز"

(١) قضايا اللغة في كتب التفسير، د/ الهادي الجطلوي، ص ٣٢٧.

(٢) الأصح أن يؤتى بعد (اختلف) بـ (في) لا (حول).

(٣) دور السياق في تقدير مرجع الضمير في الدراسات اللغوية والقرآنية، د/ محمد أحمد خضير، ص ٩٦.

(٤) الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي، د/ محمد بن عبد الله بن حمد السيف، (١/١١٥).

(٥) مرجع الضمير في القرآن الكريم، د/ محمد حسنين صبرة، ص ٥٦.

لا يستطيع أحد أن يحيط بكل مراميهِ ومقاصدِهِ فاحتَمَلَ كثيراً من المعاني وكثيراً من الوجوه، ومن ذلك صلاحية ضمير الغائب لأن يعودَ على أشياءَ متنوعةٍ سبقتُهُ، وقعَ في القرآن كثيراً جداً^(١).

ومما تجدرُ الإشارةُ إليه بهذا الصدد أن الاختلافَ في مرجعِ الضميرِ منه ما هو سائغٌ يتسمُ بالموضوعيةِ والمعياريةِ ليسَ فيه من تكلفٍ أو تعسفٍ، ومنه ما يتسمُ بالذاتيةِ وعدمِ المعياريةِ والإغراقِ في التأويلاتِ الباطنيةِ.

يقولُ أحدُ الباحثينَ في هذا المضمارِ: "والمتبَعُ للتوجيهاتِ الإعرابيةِ لآياتِ القرآنِ الكريمِ يجدُ ظاهرةَ توظيفِ الضميرِ ومفسرِهِ لخدمةِ المنطلقاتِ العقديّةِ شاهدةً على تحكيمِ المعطياتِ الخارجيةِ والقرائنِ المعنويةِ في ذلكَ بصورةٍ سائغةٍ أحياناً ومرفوضةٍ في أحيانٍ كثيرةٍ.

ومن تلكَ التوجيهاتِ التي تشطُّ في تفسيرِ الضميرِ وتحديدِ المرادِ منه دونَ أدنى ملاحظةٍ أو قرينةٍ لفظيةٍ أو معنويةٍ تقبلُ النظرَ تلكَ التأويلاتِ الباطنيةُ البعيدةُ عنَ كلِّ المعاييرِ اللفظيةِ والثابتِ النقليةِ، كتأويلِ الشيعةِ لكثيرٍ من ضمائرِ القرآنِ وفقاً لمعتقداتهمُ في القرآنِ بأنه "له ظاهرٌ وباطنٌ بل وبواطنٌ كثيرةٌ، وأنَّ علمَ جميعِ القرآنِ عندَ الأئمةِ، سواءً في ذلكَ ما يتعلقُ بالظواهرِ وما يتعلقُ بالباطنِ، وحجروا على العقولِ؛ فمنعوا الناسَ من القولِ في القرآنِ بغيرِ سماعٍ من أئمتِهِمْ، وراحوا ثانياً يدعونَ أنَّ القرآنَ واردٌ كلُّهُ أو جلُّهُ في أئمتِهِمْ ومواليهِمْ، وفي أعدائِهِمْ ومخالفِيهِمْ كذلك"^(٢). ونجمَ عن هذهِ النظرةِ للقرآنِ أن وجدوا فيه مجالاً رحيباً يتسعُ لكلِّ ما يشاءونهُ، ويمليه عليهم الهوى وتزينُهُ لهمُ العقيدةُ. ومن أسهلِ تلكَ القنواتِ التي يعبرونَ من خلالها إلى غايتِهِمْ هي الضمائرُ في القرآنِ

(١) دراسات لأسلوب القرآن الكريم، محمد عبد الخالق عزيمة، القسم الثالث (٧٩/١).

(٢) التفسير والمفسرون، د/ محمد حسين الذهبي، (٢٢/٢).

الكريم، وذلك بتوجيهها في أوجه الكمال والثناء إلى أئمتهم وفي أوجه النقص إلى مخالفهم من الصحابة وأمهات المؤمنين^(١).

وأياً ما كان فإنني في هذه الدراسة أعرض للاختلاف المعتبر في مرجع ضمير الغيبة الوارد في آيات سورة يوسف التي سجلت لنا قصة الصديق عليه السلام.

والغرض مما سيعرض إظهار مدى الثراء الدلالي الذي سيوجد هذا الاختلاف السائغ الموضوعي المعياري في مرجعية الضمير في الآية القرآنية مما يدل على الإعجاز الدلالي للنص القرآني يضاف إلى الدور الدلالي العام الذي يؤديه الضمير في الكلام من إيجاز؛ إذ إن "... الضمير في الكلام العربي يقصد منه الاختصار والإيجاز في العبارة، وذلك أنه إذا ورد في الكلام اسم ظاهر ثم أراد المتكلم إعادة الحديث عنه أوماً إليه بأدنى لفظ، واجتنب تكرار لفظه تخفيفاً على المتلقي"^(٢).

يضاف إلى ذلك أن تعدد المعاني بالاختلاف في تحديد مرجع الضمير يعد ظاهرة تمثل مع ظواهر أخرى رداً وتوهيناً لدعوى غياب عنصر المعنى في الصناعة النحوية، ووصفها بأنها قواعد جامدة مجردة وأقيسة لفظية جافة، ينصب اهتمامها بأحوال أواخر الألفاظ من رفع ونصب وجر وجزم دونما نظر لما يتبع هذه الأحوال من أثر على المعاني.

إن هذه الظاهرة حجة داحضة لهذه الدعوة الباطلة، وإنها خير شاهد وبرهان على "... أن الأحكام النحوية معايير وأسس تقوم على ربط أجزاء التراكيب الكلامية وفق مقتضيات المعاني ودلالة السياق. فدراسة النحو بهذا المعنى دراسة تحليل وبيان وكشف لظواهر مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالمعنى، فهي لا تنفك

(١) الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي، د/ محمد بن عبد الله بن حمد السيف، (١/١١٦-١١٧).

(٢) نتائج الفكر في النحو، للسهيلى، ص ١٧٠.

عنه؛ لأنها جاءت نتيجةً لمبدأ مهم، وهو عدم الإخلال بالمعنى المراد^(١) (٢).
ناهيك مما يدل عليه هذا التعدد في مرجعية الضمير من خصوبة في الدلالة
وسعة في المعنى، وكأننا أمام أكثر من تركيب، وليس تركيباً واحداً، ولا يخفى ما
في ذلك من إبراز لحقائق الإعجاز التي هي من أسرار بيان القرآن الكريم.

* ضمير الغيبة في قصة يوسف عليه السلام:

إن الباحث سيختار للدراسة - من بين أنواع الضمائر الثلاثة - ضمير
الغيبة سواءً المستتر، نحو: الطالب اجتهد (أي: هو)، أو البارز، نحو: هو مجتهد،
والبارز سواءً أكان منفصلاً، نحو: (هو- هي- هما- هم- هن)، أو متصلاً، نحو:
كتابه- كتابها- كتابهما- كتابهم- كتابهن.

وذلك لبحث عن الوجود التطبيقي له في رحاب آيات القرآن الكريم التي
حدثتنا عن قصة يوسف عليه السلام، وهي الآيات من (٤) إلى (١٠٢) من سورة يوسف،
ومطلعها قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ
وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ [يوسف: ٤]، وختامها قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ
الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٢].

إذ إن الميدان الأنسب، والمجال الأخصب لضمير الغيبة في القرآن الكريم
إنما يكون في الآيات التي تحكي قصصاً، وقصة يوسف عليه السلام من القصص القرآني
الذي لم يذكر متفرقاً، وإنما جمعت أحداث القصة الكريمة في موضع واحد في
سورة سميت باسم الصديق عليه السلام.

(١) ظاهرة التخفيف في النحو العربي، د/ أحمد عيفي، ص ٣٢٥.

(٢) الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي، د/ محمد بن عبد الله بن حمد السيف، (١١٥/١).

ولقد تتبعت ضمير الغيبة بأنماطه المختلفة في آيات القصة من السورة الكريمة وعددها تسع وتسعون آية، وكان لجميع أنماط ضمير الغيبة وجود مشهود في آيات قصة الصديق. ومن أمثلة ذلك:

- ضمير الغيبة المستتر في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

- ضمير الغيبة البارز المنفصل:

* هو، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [يوسف: ٢٧].

* هي، قال تعالى: ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي ﴾ [يوسف: ٢٦].

* هم، قال تعالى: ﴿ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٥].

- ضمير الغيبة البارز المتصل:

* الهاء المذكرة، قال تعالى: ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا ﴾ [يوسف: ٨].

* الهاء المؤنثة، قال تعالى: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا ﴾ [يوسف: ٢٣].

* الهاء المثناة، قال تعالى: ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِنِّي أَخَصِرُ حَمْرًا ﴾ [يوسف: ٣٦].

* الهاء لجمع المذكر، قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ ﴾ [يوسف: ٨٤].

* الهاء لجمع الإناث، قال تعالى: ﴿ وَقَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ﴾ [يوسف: ٣١].

وأحصيت ما ورد في السورة من ضمائر غيبة مستترة، فبلغ مائة وثمانية مواضع، ومن ضمائر غيبة بارزة، فبلغ مائتين وخمسة وعشرين موضعاً.



ومجموع هذين العديدين (٣٣٣ موضعاً) يدلُّ على أنَّ ضمير الغيبة لهُ وجودٌ مشهودٌ في آياتِ القصةِ الكريمةِ بما يجعلُها من أكثرِ الآياتِ - إن لم تكن أكثرها - اشتمالاً على ضميرِ الغيبة!!

فقليلًا ما تخلو آيةٌ من آياتِ القصةِ الكريمةِ من ضميرِ غيبةٍ، كقوله تعالى:

﴿وَاتَّبَعَتْ مَلَّةٌ أَبَاءَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨] ؛ إذِ الاشتغالُ على ضميرِ غيبةٍ أو أكثرَ في الآياتِ هو الأغلبُ الأظهرُ.

وهناك من بين تلك الآياتِ ما اشتملَ على ضميرِ غيبةٍ واحدٍ، كقوله تعالى:

﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: ٨].

وهناك ما اشتملَ على ضميرِ غيبةٍ، كقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وهناك ما اشتملَ على ثلاثةِ ضمائرِ غيبةٍ، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢].

وهناك ما اشتملَ على أربعةِ ضمائرِ غيبةٍ، كقوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

وهناك ما اشتملَ على خمسةِ ضمائرِ غيبةٍ، كقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا عَلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ١٩].



وهناك ما اشتمل على ستة ضمائر غيبية، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِءٍ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥].

وهناك ما اشتمل على سبعة ضمائر غيبية، كقوله تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: ٣٤].

وهناك ما اشتمل على ثمانية ضمائر غيبية، كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَعَنَّهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يوسف: ٦٢].

وهكذا حتى بلغت ضمائر الغيبة في آية واحدة ثلاث عشرة مرة، وهي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لهنَّ مَثَكًا وَعَاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيَّيْنِ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

إنَّ هذه الظاهرة المتمثلة في كثرة ضمائر الغيبة في آيات القصة الكريمة ظاهرة لها مبررها القصصي صاحب النفس الطويل في سرد الأحداث جملة واحدة في موضع واحد من القرآن الكريم كله.

وإلى جوار هذه الظاهرة لاحظت ظاهرة أخرى جعلتها بيت القصيد في هذا البحث، وهي الاختلاف في مرجع بعض ضمائر الغيبة بالقصة الكريمة، وهو اختلاف سائغ ومعتبر بين المفسرين والمعربين؛ إذ إنَّ من هذه الضمائر ما جاز عودته إلى أكثر من مرجع، وكلُّ مرجع مُحتمَلٍ لاقى قبولاً وإقبالاً مما يجعله محتملاً في التأويل، الأمر الذي يعني إيجازاً آخر يضاف إلى الإيجاز في اختيار الضمير نفسه عن تكرار الألفاظ، وهو إيجازٌ بتقدير أكثر من مرجع لضمير واحد، وكانَّ الجملة القرآنية بها أكثر من ضمير يعدُّ المعاني المحتملة!!



وفيما يأتي خمسة مواضع على هذا الاختلاف في مرجع ضمير الغيبة أستدلُّ بها على هذه الظاهرة التي تُعدُّ من قبيل الإعجاز القرآني، حيثُ المعاني كثيرة، والألفاظ قليلة، فالإعجاز في الإيجاز، وهذه النماذج من قبيل التمثيل لا الحصر والاستقصاء.

الموضع الأول: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَزَوَدْتُهُ أَلْتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأُبُوبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

اختلف في مرجع ضمير الغيبة في قوله تعالى (إِنَّهُ رَبِّي) على وجهين:

الوجه الأول: راجعٌ إلى العزيز^(١) عزيز مصر، وهو كبير المسئولين عن شؤونها. والمعنى: إنَّ العزيز سيدي الذي رباني وأحسن مثواي حيثُ أمرُك بقوله: ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾ [يوسف: ٢١]، فكيف أخونه في أهله وأجيبك إلى ما تريدين من ذلك^(٢).

(١) انظر: التفسير الكبير، للرازي، (٩١/١٨)، ولباب التأويل، للخازن، (٥٢٠/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٢٥٧/٦)، والدر المصون، للسمين الحلبي، (٤٦٦/٦)، واللباب، لابن عادل، (٥٨/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (٧٨/٤)، وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٦٥/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٢٤/٣)، وروح المعاني، للآلوسي، (٢١٢/١٢)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٥١/١٢).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، (٧٨/١٣)، ومعاني القرآن، للنحاس، (٤١١/٣)، والنكت والعيون، للماوردي، (٢٣/٣)، والكشاف، للزمخشري، (٤٥٥/٢)، وزاد المسير، لابن الجوزي، (٤٢٦/٢)، والتفسير الكبير، للرازي، (٩١/١٨)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٦٥/٩)، ولباب التأويل، للخازن، (٥٢٠/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٢٥٧/٦)، واللباب، لابن عادل، (٥٨/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (٧٨/٤)، وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٦٥/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٢٤/٣)، وروح المعاني، للآلوسي، (٢١٢/١٢)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٥١/١٢).

الوجه الثاني: راجع إلى الله^(١) - تعالى - .

والمعنى : إنَّ اللهَ ربي تولاني بلطفه، فلا أرتكبُ ما حرمة^(٢).

تعقيبٌ:

تخبرُ هذه الآيةُ الكريمةُ عن مشهدٍ من مشاهدِ قصةِ يوسفَ عليه السلام، وهو مشهدُ المراودةِ بينَ امرأةِ العزيزِ، وهي من هي!! وبينَ يوسفَ المملوكِ عندها، فتطلبُهُ لنفسه؛ فيستعصمُ بربهِ (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ)، ثمَّ يعللُ، فيقولُ: (إِنَّهُ رَجِيحٌ)، وفي مرجعِ هاءِ الغيبةِ وجهانِ، وبالتالي والاستقراءِ لاحظتُ للوجهينِ حضوراً واعتباراً، **والوجهُ الأولُ** منهما منسوبٌ إلى مجاهدٍ (ت ١٠٤ هـ) والسدي^(٣)^(٤).

(١) انظر: لباب التأويل، للخازن، (٥٢٠/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٢٥٧/٦)، والدر المصون، للسمين الحلبي، (٤٦٦/٦)، واللباب، لابن عادل، (٥٨/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (٧٨/٤)، وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٦٥/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٢٤/٣)، وروح المعاني، للآلوسي، (٢١٣/١٢)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٥١/١٢).

(٢) انظر: معاني القرآن، للنحاس، (٤١٠/٣)، والنكت والعيون، للماوردي، (٢٣/٣)، والكشاف، للزمخشري، (٤٥٥/٢)، وزاد المسير، لابن الجوزي، (٤٢٧/٢)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٦٥/٩)، ولباب التأويل، للخازن، (٥٢٠/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٢٥٧/٦)، واللباب، لابن عادل، (٥٨/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (٧٨/٤)، وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٦٥/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٢٤/٣)، وروح المعاني، للآلوسي، (٢١٣/١٢)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٥١/١٢).

(٣) هو الإمام المفسر إسماعيل بن عبد الرحمن السديّ، أحد موالى قريش. حدث عن: أنس بن مالك، وابن عباس، وعبد خير الهمداني، ومصعب بن سعد، وأبي صالح باذام، ومرة الطيب، وأبي عبد الرحمن السلمي، وعدد كثير. قال خليفة بن خياط: مات إسماعيل السدي في سنة سبع وعشرين ومائة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٢٦٤/٥) - (٢٦٥).

(٤) انظر: تفسير مجاهد، (٣٩٤/١)، وجامع البيان، للطبري، (٧٨/١٣-٨٠)، والنكت والعيون، للماوردي، (٢٣/٣).

ويلاحظ من خلال النظر في المراجع السابقة الموثقة لهذا الموضوع أن بعضاً منها قد اكتفى بهذا الوجه دون ذكر للوجه الثاني كجامع البيان والتفسير الكبير.

علمًا بأن المراد بـ (رَبِّي) على هذا الوجه: سيدي أو مَنْ رباني، يقول النيسابوري (ت ٨٥٠هـ): "(رَبِّي)، أي: سيدي ومالكي بزعمهم واعتقادهم، وإلا فيوسف كان عالمًا بأنه حرٌّ وحرُّ لا يصيرُ عبدًا بالبيع، أو المراد التربية، أي: الذي رباني"^(١).

وأما الوجه الثاني فمنسوبٌ إلى الزجاج (ت ٣١١هـ)، وقد رجح كونه المراد الأصحَّ أبو حيان (ت ٧٤٥هـ)، واستبعد الوجه الأول، وعلل، فقال: "والضميرُ في (إنَّه) الأصحُّ أنه يعودُ على الله تعالى، أي: إنَّ الله ربي أحسنَ مثوأي؛ إذ نجاني من الجبِّ، وأقامني في أحسنِ مقامٍ. وإما أن يكونَ ضميرَ الشأنِ، وعنَى بربه سيدهُ العزيزَ فلا يصلحُ لي أن أخونه، وقد أكرمَ مثوأيَ وائتمنني، قاله مجاهدٌ، والسُّديُّ، وابنُ إسحاق. ويبعدُ جدًّا، إذ لا يطلقُ نبيُّ كريمٍ على مخلوقٍ أنه ربه، ولا بمعنى السيد؛ لأنه لم يكن في الحقيقة مملوكًا له"^(٢).

وبلا شكَّ يقوي ذلك كونُ اسمِ الجلالة في قوله ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾ هو أقربَ مذكورٍ للضمير، وأيًا ما كان المراد فهو كافٍ وكفيلٌ لصدّها عما أرادت، ولردّها عما ارتادت، فهي إما أن تراعي حقَّ زوجها، وإما أن تراعي حقَّ ربّها، يقول أبو السعود (ت ٩٨٢هـ): "وهو ربي، أي: سيدي العزيزُ (أَحْسَنَ مَثَوَايَ)، أي: أحسنَ تعهدي حيثُ أمرُك بإكرامي، فكيفَ يمكنُ أن أسيءَ إليه بالخيانة في حرمه؟ وفيه

(١) غرائب القرآن، للنيسابوري، (٧٨/٤).

(٢) البحر المحيط، لأبي حيان، (٢٥٧/٦).

إرشاداً لها إلى رعاية حقّ العزيز بأطفٍ وجهٍ، وقيل: الضميرُ لله ، و(رَبِّ) خبرٌ (إنَّ)، و(أَحْسَنَ مَثْوَى) خبرٌ ثانٍ أو هو الخبرُ، والأولُ بدلٌ من الضميرِ، والمعنى: أنَّ الحالَ هكذا فكيفَ أعصيه بارتكابِ تلكَ الفاحشةِ الكبيرة؟ وفيه تحذيرٌ لها من عقابِ الله ، وعلى التقديرينِ ففي الاقتصارِ على ذكرِ هذه الحالةِ من غيرِ تعرضٍ لاقتضائها الامتناعَ عمّا دعتُهُ إليه إيدانٌ بأنَّ هذه المرتبةَ من البيانِ كافيةٌ في الدلالةِ على استحالتِهِ وكونِهِ مما لا يدخلُ تحتَ الوقوعِ أصلاً^(١).

ومن ثمَّ فإنَّ يوسفَ عليه السلام قد امتنعَ عما أرادتِ امرأةُ العزيزِ مستعيناً باللهِ - تعالى - معللاً لها، لعلَّ تعليلُهُ أن يزرعَها عن مراديتها له، وذلك بأنَّ زوجها هو الذى قامَ على تربيتهِ وأحسنَ إليه، فكيفَ يسيءُ إليه فى أهلهِ؟

أو أنَّ اللهَ هو الذى خلقَهُ فأحسنَ خلقَهُ وتولاهُ فأحسنَ إليه فى الولايةِ والحمايةِ حتى أنجاهُ من غياباتِ الجبِّ، وساقَهُ إلى قصورِ الملوكِ، فكيفَ يقابلُ الإحسانَ بالإساءة؟!!

وبذلك يتسعُ المعنى لهاتينِ الداللتينِ، وكأننا أمامَ آيتينِ كريمتينِ، ولعلَّ النظمَ جاءَ على هذا النحو ليذهبَ الذهنُ فيه كلاً المعنيينِ، ولتستحضرَ امرأةُ العزيزِ الأمرينِ معاً: مراعاةَ حقِّ زوجها ومراعاةَ حقِّ ربِّها، وجماعَ الأمرينِ رُدُّها إلى حقيقةِ مؤداها: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

وهكذا جاءَ التركيبُ على هذا النحو من الترتيبِ متوخياً هذه الألفاظَ ليبلغَ مبلغَهُ من الإيجازِ؛ إذ قصدُ كلِّ معنى منهما على حدةٍ دونَ الآخرِ محتملٌ، وقصدُهُما معاً محتملٌ، فالمعاني المحتملةُ -إذا- ثلاثةٌ لحرفٍ واحدٍ، هو الهاءُ الضميريةُ!! إذ احتمالُ قصدِ المعنيينِ معاً لا يمنعُ منه مانعٌ، وهذا وجهٌ جامعٌ،

(١) إرشاد العقل السليم، لأبى السعود، (٢٦٥/٤)، وانظر: روح المعاني، للآلوسى،

يقول ابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، وقد ذهب إلى أن هذا النظم موجهٌ يحتملُ المعنيين، وكأنه جملتان تكلم بهما يوسف عليه السلام: "وضميرُ (إنه) يجوزُ أن يعودَ إلى اسمِ الجلالة، ويكونُ (رَبِّ) بمعنى: خالقي. ويجوزُ أن يعودَ إلى معلومٍ من المقام وهو زوجها الذي لا يَرْضَى بأن يمَسَّها غيره، فهو معلومٌ بدلالةِ العرفِ، ويكونُ (رَبِّ) بمعنى: سيدي ومالكي.

وهذا من الكلام الموجهِ توجيهًا بليغًا حكيً بهِ كلامُ يوسف عليه السلام إما لأنَّ يوسف عليه السلام أتى بمثلِ هذا التركيبِ في لغةِ القبطِ، وإما لأنه أتى بتركيبتين عُذْرَيْنِ لامتناعِهِ فحكاهما القرآنُ بطريقةِ الإيجازِ والتوجيهِ. وأياً ما كانَ فالكلامُ تعليلٌ لامتناعِهِ وتعريضٌ بها في خيانةِ عهدِها. وفي هذا الكلامِ عبرةٌ عظيمةٌ من العفافِ والتقوى وعصمةِ الأنبياءِ قبلَ النبوةِ من الكبائرِ.

وذكرُ وصفِ الربِّ على الاحتمالينِ لما يؤذِنُ بهِ من وجوبِ طاعتهِ وشكرهِ على نعمةِ الإيجادِ بالنسبةِ إلى الله، ونعمةِ التربيةِ بالنسبةِ لمولاهُ العزيزِ. وأكدَ ذلكَ بوصفهِ بجملةِ (أَحْسَنَ مَثْوَى)، أي: جعلَ آخرَتي حُسْنَى؛ إذ أنقذني من الهلاكِ، أو أكرمَ كفالتي...^(١).

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (١٢/٢٥١-٢٥٢).

الموضع الثاني: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ

بِضَعِّ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

اختلف في مرجع ضمير الغيبة في قوله تعالى (فَأَنسَهُ) على وجهين:

الوجه الأول: راجع إلى يوسف^(١).

والمعنى: أنسى الشيطان يوسف ذكر الله تعالى في تلك الحال ﴿وَقَالَ لِلَّذِي

ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا﴾ [يوسف: ٤٢] يذكره عند سيده؛ ليكون ذلك سبباً لانتباهه على ما أوقعه من الظلم البين عليه بسجنه بعد أن رأى من الآيات ما يدل على براعته^(٢).

- (١) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (٢٢٥/٥)، والمحرم الوجيز، لابن عطية، (٢٤٧/٣)، والتفسير الكبير، للرازي، (١١٥-١١٦/١٨)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٩٥/٩)، ولباب التأويل، للخازن، (٥٣٠/٢)، والتسهيل لعلم التنزيل، لابن جزي، (٣٨٧/١)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٢٨٠/٦)، والدر المصون، للسمين الحلبي، (٥٠٠/٦)، واللباب، لابن عادل، (١١٠-١٠٩/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (٩٠/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٤٠/٣)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٧٩/١٢).
- (٢) انظر: جامع البيان، للطبري، (١٧٢/١٣)، ومعاني القرآن، للنحاس، (٤٢٩/٣)، والكشف والبيان، للثعلبي، (٢٢٥/٥)، والنكت والعيون، لماوردي، (٤٠/٣)، ومعالم التنزيل، للبعوي، (٤٩٣/٢)، والكشاف، للزمخشري، (٤٧٢/٢)، والمحرم الوجيز، لابن عطية، (٢٤٧/٣)، وزاد المسير، لابن الجوزي، (٤٤١/٢)، والتفسير الكبير، للرازي، (١١٥-١١٦/١٨)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٩٥/٩)، وأنوار التنزيل، للبيضاوي، (٢٩٠/٣)، ومدارك التنزيل، للنسفي، (١١٢/٢)، ولباب التأويل، للخازن، (٥٣٠/٢)، والتسهيل لعلم التنزيل، لابن جزي، (٣٨٧/١)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٢٨٠/٦)، واللباب، لابن عادل، (١١٠-١٠٩/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (٩٠/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٤٠/٣)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٧٩/١٢).

الوجه الثاني: راجع إلى (الشرابي)، وهو الذي نجا من الغلامين^(١).

والمعنى: أنسى الشيطان الشرابي الناجي ذكر إخباره بما أمره به يوسف مع خلوصه من السجن ورجوعه إلى ما كان عليه من القيام بسقي الملك^(٢).
تعقيب:

هذه الآية إخبار عن مشهد من مشاهد قصة يوسف عليه السلام بعد دخوله السجن، وفي مرجع ضمير الغيبة المنتصب بالفعل (و) اختلاف على وجهين: الوجه الأول القائل بعوده على يوسف عليه السلام منسوب لابن عباس (ت ٥٦٨هـ)^(٣) ومجاهد

(١) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (٢٢٥/٥)، والمحرم الوجيز، لابن عطية، (٢٤٧/٣)، والتفسير الكبير، للرازي، (١١٦/١٨)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٩٦/٩)، ولباب التأويل، للخازن، (٥٣٠/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (٣٨٧/١)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٢٨٠/٦)، والدر المصون، للسمين الحلبي، (٥٠٠/٦)، واللباب، لابن عادل، (١٠٩/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (٩٠/٤)، وفتح القدير، للشوكاتي، (٤٠/٣)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٧٨/١٢).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، (١٧٤/١٣)، والكشف والبيان، للثعلبي، (٢٢٥/٥)، والنكت والعيون، للماوردي، (٤٠/٣)، ومعالم التنزيل، للبغوي، (٤٩٣/٢)، والكشاف، للزمخشري، (٤٧٢/٢)، والمحرم الوجيز، لابن عطية، (٢٤٧/٣)، وزاد المسير، لابن الجوزي، (٤٤١/٢)، والتفسير الكبير، للرازي، (١١٦/١٨)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (١٩٦/٩)، وأنوار التنزيل، للبيضاوي، (٢٨٩/٣)، ومدارك التنزيل، للنسفي، (١١٢/٢)، ولباب التأويل، للخازن، (٥٣٠/٢)، والتسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (٣٨٧/١)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٢٨٠/٦)، واللباب، لابن عادل، (١٠٩/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (٩٠/٤)، وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٨٠/٤)، وفتح القدير، للشوكاتي، (٤٠/٣)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٧٨/١٢).

(٣) انظر: معالم التنزيل، للبغوي، (٤٩٣/٢).

(ت ١٠٤هـ) ^(١) ومقاتل (ت ١٥٠هـ) ^(٢) والزجاج (ت ٣١١هـ) ^(٣).

والوجه الثاني القائل بعوده إلى الساقى منسوباً لمحمد بن إسحاق (ت ١٥١هـ) ^(٤).

وقد ناقشَ الفخرُ الرازيُّ (ت ٦٠٦هـ) الوجهَ الأولَ وما قد يثارُ حوله من أقاويلَ، فقال: "الأولُ: أنه راجعٌ إلى يوسفَ، والمعنى أنَّ الشيطانَ أنسى يوسفَ أن يذكرَ ربَّهُ، وعلى هذا القولِ ففيه وجهان: أحدهما: أنَّ تمسكه بغيرِ الله كان مستدرَكًا عليه، وتقديره من وجوه: الأولُ: أنَّ مصلحته كانت في ألا يرجع في تلك الواقعة إلى أحدٍ من المخلوقين وألا يعرضَ حاجته على أحدٍ سوى الله، وأنَّ يقتدي بجدِّه إبراهيمَ عليه السلام، فإنه حينَ وُضِعَ في المنجنيقِ ليرمى إلى النارِ جاءه جبريلُ عليه السلام وقال: هل من حاجة؟ فقال: أمَّا إليك فلا، فلما رجع يوسفُ إلى المخلوق لا جرمَ وصفَ الله ذلك بأنَّ الشيطانَ أنساهُ ذلكَ التفويضَ، وذلكَ التوحيدَ، ودعاهُ إلى عرضِ الحاجةِ إلى المخلوقينَ، ثمَّ لما وصفه بذلكَ ذكرَ أنه بقيَ لذلكَ السببِ في السجنِ بضعَ سنينَ، والمعنى أنه لما عدلَ عن الانقطاعِ إلى ربِّه إلى هذا المخلوقِ عوقِبَ بأنَّ لبثَ في السجنِ بضعَ سنينَ، وحاصلُ الأمرِ: أنَّ رجوعَ يوسفَ إلى المخلوقِ صارَ سببًا لأمرينِ: أحدهما: أنه صارَ سببًا لاستيلاءِ الشيطانِ عليه حتى أنساهُ ذكرَ ربِّه، الثاني: أنه صارَ سببًا لبقاءِ المحنةِ عليه مدةً طويلةً.

الوجه الثاني: أنَّ يوسفَ عليه السلام قال في إبطالِ عبادةِ الأوثانِ ﴿عَرَبًا

مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، ثمَّ إنه -ها هنا- أثبتَ ربًّا

(١) انظر: تفسير مجاهد، (١/٣٩٦).

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان، (٢/٣٣٥).

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (٣/١١٢).

(٤) انظر: جامع البيان، للطبري، (١٣/١٧٤-١٧٥).

غيره حيث قال: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٤٢] ومعاذ الله أن يقال: إنه حكم عليه بكونه رباً بمعنى كونه إلهاً، بل حكم عليه بالربوبية كما يقال: ربُّ الدار، وربُّ الثوبِ على أن إطلاقَ لفظِ الربِّ عليه بحسبِ الظاهرِ يناقضُ نفيَ الأربابِ.

الوجه الثالثُ: أنه قال في تلك الآية: ﴿مَا كُنَّا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ٣٨]، وذلك نفيٌ للشركِ على الإطلاق، وتفويضُ الأمورِ بالكليةِ إلى الله تعالى، فهاهنا الرجوعُ إلى غيرِ الله تعالى كالمناقضِ لذلك التوحيدِ.

واعلم أن الاستعانةَ بالناسِ في دفعِ الظلمِ جائزةٌ في الشريعةِ، إلا أن حسناتِ الأبرارِ سيئاتُ المقربين، فهذا وإن كان جائزاً لعامةِ الخلقِ إلا أن الأولى بالصديقين أن يقطعوا نظرهم عن الأسبابِ بالكليةِ وألا يشتغلوا إلا بمسببِ الأسبابِ.

الوجه الثاني في تأويل الآية أن يقال: هب أنه تمسك بغيرِ الله وطلب من ذلك الساقى أن يشرح حاله عند ذلك الملك، إلا أنه كان من الواجب عليه ألا يخلي ذلك الكلام من ذكرِ الله، مثل أن يقول: إن شاء الله أو قدر الله، فلما أخلاه عن هذا الذكرِ وقع هذا الاستدراك^(١).

ثم عرض للوجه الثاني مبيناً حجةً من رجح الأول، فقال: "القول الثاني: أن يقال: إن قوله ﴿فَأَنسَهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ راجعٌ إلى الناجي، والمعنى: أن الشيطان أنسى ذلك الفتى أن يذكرَ يوسفَ للملكِ حتى طال الأمرُ ﴿فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ بهذا السببِ، ومن الناس من قال: القول الأول أولى؛ لما روي عنه عليه السلام قال: "رحم الله يوسفَ، لو لم يقل: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾

(١) التفسير الكبير، للرازي، (١١٥/١٨-١١٦).

ما لبث في السجن^(١)، وعن قتادة: أن يوسف عليه السلام عُوِّبَ بسبب رجوعه إلى غير الله، وعن إبراهيم التيمي^(٢): أنه لما انتهى إلى باب السجن قال له صاحبه: ما حاجتك؟ قال: أن تذكرني عند ربِّ سوى الربِّ الذي قال يوسف، وعن مالك^(٣): لما قال يوسف للساقى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، قيل: يا يوسف اتخذت من دوني وكيلاً. لأطيلن حبسك؛ فبكى يوسف، وقال: طولُ البلاءِ أنساني ذكرَ المولى؛ فقلتُ هذه الكلمة، فويلٌ لإخوتي^(٤). وقد عرض الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) ردًا لحجة من رجح الوجه الثاني، فقال: "وقد رجح هذا - يعني الوجه الثاني - بكون الشيطان لا سبيل له على الأنبياء. وأجيب: بأن النسيان وقع من يوسف، ونسبته إلى الشيطان على طريق المجاز، والأنبياء غير معصومين عن النسيان إلا فيما يخبرون عن الله سبحانه، وقد صحَّ عن رسول الله ~ أنه قال: "إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون، فإذا نسيتُ فذكروني"^(٥)، ورجح أيضًا بأن النسيان ليس بذنب،

(١) صحيح ابن حبان - كتاب التاريخ ذكر السبب الذي من أجله لبث يوسف في السجن ما لبث - حديث: ٦٢٩٧.

(٢) هو إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، الإمام، القدوة، الفقيه، عابد الكوفة. حدث عن أبيه، وكان أبوه يزيد من أئمة الكوفة أيضًا. يروي عن: عمر، وأبي ذر، والكبار. يقال: قتله الحجاج. وقيل: بل مات في حبسه، سنة اثنتين وتسعين. وقيل: سنة أربع وتسعين. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٥/٦٠-٦٢).

(٣) هو مالك بن دينار. ولد في أيام ابن عباس. وسمع من: أنس بن مالك فمن بعده، وحدث عنه. وعن: الأحنف بن قيس، وسعيد بن جبير، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، والقاسم بن محمد، وعدة. وثقه: النسائي، وغيره. واستشهد به البخاري، وحديثه في درجة الحسن. قال السري بن يحيى: توفي مالك بن دينار سنة سبع وعشرين ومائة. وقال ابن المديني: سنة ثلاثين ومائة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٥/٣٦٢-٣٦٤).

(٤) التفسير الكبير، للرازي، (١١٦/١٨).

(٥) صحيح البخاري - كتاب الصلاة أبواب استقبال القبلة - باب التوجه نحو القبلة حيث كان - حديث: ٣٩٥.

فلو كان الذي أنساه الشيطان ذكرَ ربِّه هوَ يوسفَ لمَ يستحقَّ العقوبةَ على ذلكَ بلبثه في السجنِ بضعَ سنينَ. وأجيب: بأنَّ النسيانَ هنا بمعنى الترك، وأنه عوقبَ بسببِ استعانتِهِ بغيرِ الله سبحانه، ويؤيدُ رجوعَ الضميرِ إلى يوسفَ ما بعدهُ من قولِهِ ﴿فَلَيْتَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سِنِينَ﴾ ويؤيدُ رجوعَهُ إلى الذي نجا من الغلامين قولُهُ فيما سيأتي ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [يوسف: ٤٥] (١).

وأياً ما كان فالوجهانِ محتملانِ والداللتانِ واردتانِ، ولاينِ عاشورِ (ت ١٣٩٣هـ) تعليقٌ مائعٌ حولِ احتماليةِ التوجيهينِ، حيثُ يقولُ: "ولعلَّ كلا الاحتمالينِ مرادٌ، وهوَ من بديعِ الإيجازِ. وذلكَ أنَّ نسيانَ يوسفَ عليه السلام أن يسألَ اللهَ إلهامَ الملكِ تذكُّرَ شأنِهِ كانَ من إلقاءِ الشيطانِ في أمنيته، وكانَ ذلكَ سبباً إلهياً في نسيانِ الساقى تذكيرَ الملكِ، وكانَ ذلكَ عتاباً إلهياً ليوسفَ عليه السلام على اشتغاله بعونِ العبادِ دونَ استعانةِ ربِّه على خلاصِهِ.

ولعلَّ في إيرادِ هذا الكلامِ على هذا التوجيهِ تلطفاً في الخبرِ عن يوسفَ عليه السلام؛ لأنَّ الكلامَ الموجهَ في المعاني الموجهةِ أطفُ من الصريحِ" (٢).

وابنُ عاشورِ (ت ١٣٩٣هـ) بهذا القولِ يشيرُ إلى غرضِ بلاغيٍّ لمجيءِ النظمِ القرآنيِّ على هذا النحوِ من التركيبِ الحماليِّ للمعاني، وذلكَ من حيثُ:

- أن كلَّ معنى محتملٌ على حدة.
- أن كلا المعنيينِ مقصودٌ معاً.
- أن مجيءَ الكلامِ على وجهِ يحتملُ أكثرَ من توجيهِ أطفُ - بلا شكَّ - من التصريحِ.

(١) فتح القدير، للشوكاني، (٤٠/٣)، وانظر: الباب، لابن عادل، (١١/١١).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (٢٧٩/١٢).

الموضع الثالث: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُنُونِي بِدِهٍ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ

قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ [يوسف: ٥٤].

اختلف في مرجع ضمير الرفع المستتر وضمير الغيبة الظاهر في قوله

تعالى (كَلَّمَهُ) على وجهين:

الوجه الأول: الضمير المستتر للملك، والظاهر ليوسف عليه السلام (١).

والمعنى: قال الملك: اتنوني بيوسف لأستخلصه لنفسى، فلما أتوه به،

وكلم الملك يوسف عليه السلام قائلاً: (إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) (٢).

الوجه الثاني: الضمير المستتر ليوسف عليه السلام، والظاهر للملك (٣).

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، (٢١٦/١٣)، والتفسير الكبير، للرازي، (١٢٧/١٨)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢١٢/٩)، ولباب التأويل، للخازن، (٥٣٥/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٢٩١/٦)، والدر المصون، للسمين الحلبي، (٥١٥/٦)، واللباب، لابن عادل، (١٣٤/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (١٠٠/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٤٨/٣)، وروح المعاني، للآلوسي، (٤/١٣).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، (٢١٦/١٣)، والتفسير الكبير، للرازي، (١٢٧/١٨)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢١٢/٩)، ولباب التأويل، للخازن، (٥٣٥/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٢٩١/٦)، والدر المصون، للسمين الحلبي، (٥١٥/٦)، واللباب، لابن عادل، (١٣٤/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (١٠٠/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٤٨/٣)، وروح المعاني، للآلوسي، (٤/١٣).

(٣) انظر: التفسير الكبير، للرازي، (١٢٧/١٨)، ولباب التأويل، للخازن، (٥٣٥/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٢٩١/٦)، والدر المصون، للسمين الحلبي، (٥١٥/٦)، واللباب، لابن عادل، (١٣٤/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (١٠٠/٤)، وإرشاد العقل السليم، لأبي السعود، (٢٨٦/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٤٨/٣)، وروح المعاني، للآلوسي، (٤/١٣)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٧/١٣).



والمعنى: قال الملك: انتوني بيوسف لأستخلصه نفسي، فلما أتوه به،
وكلم يوسف عليه السلام الملك^(١)، فكان نتيجة الكلام أن قال الملك: (إِنَّكَ أَلْيَمٌ لَدَيْنَا مَكِينٌ
أَمِينٌ).

تعقيب:

هذه الآية تخبر عن مشهد من مشاهد قصة يوسف عليه السلام؛ فقد قدر تعالى
خروجه من سجنه؛ ليكون على خزائن الأرض، جيء به إلى الملك، ودخل عليه
(فلما كلمه)، واختلف فيمن بدأ الحوار بينهما، ومرجع الاختلاف إلى الاختلاف في
مرجع ضميري الجملة الفعلية (كلمه)؛ إذ احتمل في مرجعها وجهان تتبعتهما في
كثير من كتب التفسير فوجدت لهما وجوداً وقبولاً يشهد به التوثيق السابق.

وقد اختلف في ترجيح كل منهما، فذهب النيسابوري (ت ٨٥٠هـ) إلى أن
الوجه الأول أولى^(٢)، وقال أبو حيان (ت ٥٧٤هـ): إنه "الظاهر"^(٣).

في حين اكتفى بعض أهل التفسير بتأويل الآية على الوجه الثاني كابن
عاشور (ت ١٣٩٣هـ)^(٤).

(١) انظر: التفسير الكبير، للرازي، (١٢٧/١٨)، ولباب التأويل، للخازن، (٥٣٥/٢)، والبحر
المحيط، لأبي حيان، (٢٩١/٦)، والدر المصون، للسمين الحلبي، (٥١٥/٦)، واللباب، لابن
عادل، (١٣٤/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (١٠٠/٤)، وإرشاد العقل السليم، لأبي
السعود، (٢٨٦/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٤٨/٣)، وروح المعاني، لآلوسي، (٤/١٣)،
والتحريير والتنوير، لابن عاشور، (٧/١٣).

(٢) انظر: غرائب القرآن، للنيسابوري، (١٠٠/٤).

(٣) البحر المحيط، لأبي حيان، (٢٩١/٦).

(٤) انظر: التحريير والتنوير، لابن عاشور، (٧/١٣).

يقول الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) عارضاً لدليل كل وجه من الوجهين: "قيل: والأول أولى؛ لأن مجالس الملوك لا يتكلم فيها ابتداءً إلا هم دون من يدخل عليهم، وقيل: الثاني أولى؛ لقول الملك ﴿قَالَ إِنَّكَ آلِيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ فإن هذا يفيد أنه لما تكلم يوسف في مقام الملك جاء بما حبه إلى الملك، وقربه من قلبه، فقال له هذه المقالة^(١).

ولا يخفى ما في ذلك من اختلاف دلالي وسع من معنى الحوار، فيما أن يكون الملك هو البادئ بالكلام كعادة الملوك مع من يستدعونه، وإما أن يكون يوسف عليه السلام هو البادئ بالكلام، وكان الملك ما قدر على أن يبدأ بالكلام قبله لما رآه حتى بدأ هو، الأمر الذي بهر الملك قولاً وعملاً، فاستحق ما قاله الملك له.

كل ذلك محتمل، وليذهب الذهن إلى ما شاء أن يذهب إليه من هذين المعنيين، لكن لا يجمع بينهما، فليسا مقصودين معاً؛ لأنه لا يحتمل كون أحدهما بادئاً ومبدوءاً في وقت واحد.

(١) فتح القدير، للشوكاني، (٤٨/٣).

الموضع الرابع : قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا إِن يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ

فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ. وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾
[يوسف: ٧٧].

اختلف في مرجع الضمير في قوله تعالى (فَأَسْرَهَا يُوسُفُ) على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول : يعود إلى الكلمة أو الجملة المفسرة بقوله تعالى :

﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾^(١).

والمعنى: كأنه قيل: فأسرَّ الجملة في نفسه ولم يبدِها لهم، ثم فسرَّها بقوله

﴿قَالَ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾^(٢).

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، (٢٧٥/١٣)، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (١٢٣/٣)، والإغفال، لأبي علي الفارسي، (٣٣٢/٢-٣٣٦)، والكشف والبيان، للثعلبي، (٢٤٣/٥)، والكشاف، للزمخشري، (٤٩٣/٢)، وزاد المسير، لابن الجوزي، (٤٦٠/٢)، والتفسير الكبير، للرازي، (١٤٧/١٨)، والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (٧٤١/٢)، وأنوار التنزيل، للبيضاوي، (٣٠٢/٣)، ولباب التأويل، للخازن، (٥٤٦/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٣٠٨/٦)، والدر المصون، للسمين الحلبي، (٥٣٥/٦-٥٣٦)، واللباب، لابن عادل، (١٧٤/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (١١٢/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٦٢/٣)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٥/١٣).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، (٢٧٥/١٣-٢٧٦)، وإعراب القرآن، للنحاس، (٣٤٠/٢)، ومعاني القرآن، للنحاس، (٤٥٠/٣)، والكشف والبيان، للثعلبي، (٢٤٣/٥)، والنكت والعيون، للموردي، (٦٥/٣)، والكشاف، للزمخشري، (٤٩٣/٢)، وزاد المسير، لابن الجوزي، (٤٦٠/٢)، والتفسير الكبير، للرازي، (١٤٧/١٨)، والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (٧٤١/٢)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٣٩/٩)، وأنوار التنزيل، للبيضاوي، (٣٠٢/٣)، ولباب التأويل، للخازن، (٥٤٦/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٣٠٨/٦)، والدر المصون، للسمين الحلبي، (٥٣٥/٦-٥٣٦)، واللباب، لابن عادل، (١٧٤/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (١١٢/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٦٢/٣)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٣٥/١٣).

الوجه الثاني : عائدٌ إلى الإجابة^(١).

والمعنى : أسرَّ يوسفُ عليه السلام إجابتهُم في ذلك الوقتِ إلى وقتٍ آخر^(٢).

الوجه الثالث : عائدٌ إلى قولهم ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾^(٣).

والمعنى: أسرَّ يوسفُ في نفسه قولهم: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ من

قَبْلُ ﴿... ويكونُ معنى ﴿وَلَمْ يَبْدِهَا لَهُمْ﴾ أَنَّهُ لَمْ يَبْدِ لَهُمْ هَذِهِ الْمَقَالَةُ الَّتِي أَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ بِأَنْ يَذَكَرَ لَهُمْ صَحْتَهَا أَوْ بَطْلَانَهَا^(٤).

(١) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي، (٤٦٠/٢)، والتفسير الكبير، للرازي، (١٤٧/١٨)،
وأوار التنزيل، للبيضاوي، (٣٠٢/٣)، ولباب التأويل، للنازن، (٥٤٦/٢)، واللباب، لابن
عادل، (١٧٥/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (١١٢/٤)، وفتح القدير، للشوكاني،
(٦٢/٣).

(٢) انظر: إعراب القرآن، للنحاس، (٣٤٠/٢)، وزاد المسير، لابن الجوزي، (٤٦٠/٢)،
والتفسير الكبير، للرازي، (١٤٧/١٨)، ولباب التأويل، للنازن، (٥٤٦/٢)، واللباب، لابن
عادل، (١٧٥/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (١١٢/٤)، وفتح القدير، للشوكاني،
(٦٢/٣).

(٣) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي، (٤٦٠/٢)، والتفسير الكبير، للرازي، (١٤٧/١٨)،
والتبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (٧٤٠/٢)، وأوار التنزيل، للبيضاوي، (٣٠٢/٣)،
ولباب التأويل، للنازن، (٥٤٦/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٣٠٨/٦)، والدر المصون،
للسمين الحلبي، (٥٣٥/٦)، واللباب، لابن عادل، (١٧٣/١١-١٧٤)، وغرائب القرآن،
للنيسابوري، (١١٢/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٦٢/٣)، والتحرير والتنوير، لابن
عاشور، (٣٤/١٣).

(٤) انظر: إعراب القرآن، للنحاس، (٣٤٠/٢)، والنكت والعيون، للماوردي، (٦٥/٣)، وزاد
المسير، لابن الجوزي، (٤٦٠/٢)، والتفسير الكبير، للرازي، (١٤٧/١٨)، والتبيان في
إعراب القرآن، للعكبري، (٧٤٠/٢)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٣٩/٩)، ولباب
التأويل، للنازن، (٥٤٦/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٣٠٨/٦)، والدر المصون،
للسمين الحلبي، (٥٣٥/٦)، واللباب، لابن عادل، (١٧٣/١١-١٧٤)، وغرائب القرآن،
للنيسابوري، (١١٢/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٦٢/٣)، والتحرير والتنوير، لابن
عاشور، (٣٥-٣٤/١٣).

تعقيب:

هذه الآية الكريمة سطرٌ من سطورِ الحوارِ الذي دارَ بينَ يوسفَ عليه السلام وبينَ إخوتهِ وهمَ لا يعرفونه، وذلكَ حينما وُجِدَ صواعُ الملكِ في رحلهِ، (قَالُوا إِن يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ) يعنونَ أخاهُ يوسفَ عليه السلام، (فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ)، وقد اختلفَ في مرجعِ ضميرِ الغيبةِ على النحوِ التوجيهيِّ الثلاثيِّ السابقِ، والوجهُ الأولُ منسوبٌ إلى ابنِ عباسٍ فيما رواهُ العوفيُّ^(١) (ت ١١١هـ) عنه^(٢)، وهو كذلكَ لابنِ إسحاقَ (ت ١٥١هـ)^(٣).

- والوجهُ الثاني ذكره ابنُ الأثيري^(٤).

- والوجهُ الثالثُ منسوبٌ إلى ابنِ عباسٍ فيما رواهُ أبو صالح^(٥) عنه^(٦).

(١) هو أبو الحسن عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي (ت ٥١١هـ)، من مشاهير التابعين، ضعيف الحديث. روى عن: ابن عباس، وأبي سعيد، وابن عمر. وكان شيعياً. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٥/٣٢٥-٣٢٦).

(٢) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي، (٢/٤٦٠).

(٣) انظر: النكت والعيون، للماوردي، (٣/٦٥).

(٤) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي، (٢/٤٦٠).

(٥) هو أبو صالح باذام، ويقال: باذان. حدث عن: مولاته أم هانئ، وأخيها علي، وأبي هريرة، وابن عباس. قال يحيى بن معين: ليس به بأس، وإذا حدث عنه الكلبي، فليس بشيء. وقال ابن عدي: عامة ما يرويه تفسير، قل ما له من المسند. انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٥/٣٧-٣٨).

(٦) زاد المسير، لابن الجوزي، (٢/٤٦٠).

وهو كذلك لابن شجرة^(١) وعلي بن عيسى^(٢) (٣).

وإلى جوار هذه الأوجه الثلاثة وجه رابع ذكره النحاس (ت ٥٣٣٨) في إعرابه، حيث يقول: "... وقيل: أسر في نفسه المجازاة لهم على ما قالوا فيه"^(٤).

وللطبري (ت ٥٣١٠) توجية في تأنيث الضمير حيث يقول: "وقال: ﴿فَأَسْرَهَا﴾ فأنث؛ لأنه عنى بها الكلمة، وهي ﴿أَنْتُمْ سَرُّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ ولو كانت جاءت بالتذكير كان جائزاً كما قيل ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعِيبِ﴾ [هود: ٤٩] و﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى﴾ [هود: ١٠٠] وكنى عن الكلمة، ولم يجر لها ذكرٌ متقدماً، والعربُ تفعلُ ذلك كثيراً إذا كان المعنى المراد مفهوماً عند سامعي

(١) هو أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة البغدادي (٢٦٠-٥٣٥٠)، تلميذ محمد بن جرير الطبري. كان من العلماء بالأحكام، وعلوم القرآن، والنحو، والشعر، والتواريخ. من كتبه: (غريب القرآن)، و(موجز التأويل عن معجز التنزيل). انظر: الفهرست، لابن النديم، ص ٤٨، وتاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، (٥/١١٩-١٢١)، وإنباه الرواة، للقفطي، (١/١٣٢-١٣٣)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، (١٥/٥٤٤-٥٤٦).

(٢) هو أبو الحسن علي بن عيسى الرماني النحوي المعتزلي (٢٩٦-٥٣٨٤). أخذ عن: الزجاج، وابن دريد، وطائفة. وصنف في التفسير، واللغة، والنحو، والكلام، وشرح (سيبويه)، وكتاب (الجمال)، وألف في الاعتزال (صنعة الاستدلال)، وكتاب (الأسماء والصفات)، وكتاب (الأكوان)، وكتاب (المعلوم والمجهول). أصله من (سُرَّ مَنْ رَأَى)، ومات ببغداد، وكان من أوعية العلم على بدعته. انظر: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، (١٢/١٧)، ووفيات الأعيان، لابن خلكان، (٣/٢٩٩)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي، (١٦/٥٣٣-٥٣٤)، وبغية الوعاة، للسيوطي، (٢/١٨٠-١٨١).

(٣) انظر: النكت والعيون، للماوردي، (٣/٦٥).

(٤) إعراب القرآن، للنحاس، (٢/٣٤٠).

الكلام، وذلك نظير قول حاتم الطائي^(١): [الطويل]

أماوي ما يُغني الثراء عن الفتى :::: إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر

يريد: وضاق بالانفس الصدر فكنى عنها ولم يجر لها ذكر إذ كان في قوله (إذا حشرجت يوماً) دلالة لسامع كلامه على مراده بقوله (وضاق بها)، ومنه قول الله ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠] فقال: (من بعدها)، ولم يجر قبل ذلك ذكر لاسم مؤنث^(٢).

وقد قال الزجاج (ت ٣١١ هـ) بالوجه الأول، وطعن أبو علي الفارسي على قوله، يقول الفخر الرازي (ت ٦٠٦ هـ): "قال الزجاج: ﴿فَأَسْرَهَا﴾ إضمار على شريطة التفسير، تفسيره ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾، وإنما أنت؛ لأن قوله ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾ جملة أو كلمة؛ لأنهم يسمون الطائفة من الكلام كلمة كأنه قال: فأسر الجملة أو الكلمة التي هي قوله ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا﴾، وفي قراءة ابن مسعود ﴿فَأَسْرَهُ﴾ بالتذكير، يريد القول أو الكلام، وطعن أبو علي الفارسي في هذا الوجه فيما استدركه على الزجاج من وجهين:

(١) البيت لحاتم الطائي في ديوانه ص ٢١٠، وفي: الشعر والشعراء، لابن قتيبة، (٢٤٦/١)،
والعقد الفريد، لابن عبد ربه، (٢٤٤/١)، وزهر الآداب، للحصري القيرواني، (٢٠٩/٣)،
ولباب الآداب، لابن منقذ، ص ١٢٥، وخزائن الأدب، للبغدادي، (٢١٢/٤)، وانظر خبر
القصيد التي منها هذا البيت في: أمالي الزجاجي، للزجاجي، (١٠٦-١٠٩)، والأغاني،
لأبي الفرج الأصفهاني، (٢٧١/١٧-٢٧٥).

(٢) جامع البيان، للطبري، (٢٧٥/١٣-٢٧٦).

الوجه الأول: قال: الإضمارُ على شريطة التفسيرِ يكونُ على ضربين: أحدهما: أن يفسرَ بمفردٍ كقولنا: نعمَ رجلاً زيدٌ، ففي (نعم) ضميرٌ فاعلُها، ورجلاً تفسيرٌ لذلكِ الفاعلِ المضمرِ، والآخِرُ: أن يفسرَ بجملةٍ، وأصلُ هذا يقعُ في الابتداءِ كقوله ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنبياء: ٩٧]، ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] والمعنى: القصةُ: شاخِصَةٌ أبصارُ الذين كفروا، والأمرُ: اللهُ أحدٌ. ثمَّ إنَّ العواملَ الداخلةَ على المبتدأِ والخبرِ تدخلُ عليه أيضاً، نحو: إنَّ، كقوله ﴿إِنَّهُ مِنْ يَاتِ رَبِّهِ مُجْرِمًا﴾ [طه: ٧٤] ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرُ﴾ [الحج: ٤٦].

إذا عرفتَ هذا فنقول: نفسُ المضمرِ على شريطة التفسيرِ في كلا القسمين متصلٌ بالجملةِ التي حصلَ منها الإضمارُ، ولا يكونُ خارجاً عن تلكِ الجملةِ ولا مابيناً لها. وهاهنا التفسيرُ منفصلٌ عن الجملةِ التي حصلَ منها الإضمارُ؛ فوجبَ أن لا يحسنَ.

والثاني: أنه تعالى قال: ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَّانًا﴾ وذلك يدلُّ على أنه ذكرَ هذا الكلامَ، ولو قلنا: إنه العلية أضمرَ هذا الكلامَ لكانَ قوله أنه قال ذلكَ كذباً. واعلمَ أنَّ هذا الطعنَ ضعيفٌ لوجوه:

أما **الأول:** فلأنه لا يلزمُ من حسنِ القسمينِ الأولينِ قبْحُ قسمِ ثالثٍ.

وأما **الثاني:** فلأننا نحملُ ذلكَ على أنه العلية قال ذلكَ على سبيلِ الخفيةِ، وبهذا التفسيرِ يسقطُ هذا السؤالُ^(١).

وقد رجحَ الشوكانيُّ (ت. ١٢٥٠هـ) الوجهَ الأولَ فقال: "هو الأولى"^(٢)، والترجيحُ لا يردُّ خلافه، وإنما يجعله في مرتبةِ المرجوحِ.

(١) التفسير الكبير، للرازي، (١٨/١٤٧).

(٢) فتح القدير، للشوكاني، (٣/٦٢).

والاختلاف في التوجيه يؤثر من حيث الدلالة على الجملة القرآنية المحكية ﴿أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا﴾، يقول الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ): "وجملة ﴿قَالَ﴾ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا مفسرة على القول الأول، ومستأنفة على القولين الآخرين، كأنه قيل: فماذا قال يوسف لما قال هذه المقالة؟ أي: أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانًا أي: موضعاً ومنزلاً ممن نسبتموه إلى السرقة وهو بريء، فَإِنَّكُمْ قَدْ فَعَلْتُمْ مِنْ إِقَاءِ يَوْسُفَ إِلَى الْجَبِّ وَالْكَذِبِ عَلَى أَبِيكُمْ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَفَاعِيلِكُمْ"^(١).

وهكذا يتضح أن الآية الكريمة في موضع شاهدها قد احتملت معاني ثلاثة، كلها سائغة معتبرة، وهو ما يعدُّ سعة في الدلالة مع إيجاز في اللفظ، وهذا من دلائل البلاغة القرآنية، وقد دلَّ على ذلك تعدد الأوجه في مرجع الضمير.

(١) المصدر نفسه، (٦٢/٣).

الموضع الخامس: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَفَعَ أَبْوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ

يَأْتِبْتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ فَدَّ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

اختلف في مرجع ضمير الغيبة في قوله تعالى (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: راجع إلى يوسف عليه السلام (١).

والمعنى: إِنَّ الْأَبْوِينَ وَالْإِخْوَةَ خَرُّوا لِيُوسُفَ سَجْدًا، وَكَانَ ذَلِكَ جَائِزًا فِي شَرِيعَتِهِمْ مَنْزِلًا مَنْزِلَةَ التَّحِيَّةِ، وَقِيلَ: لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ سَجُودًا؛ بَلْ هُوَ مَجْرَدُ إِيمَاءٍ، وَكَانَتْ تِلْكَ تَحِيَّتَهُمْ، وَهُوَ يَخَالِفُ مَعْنَى: (وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا)، فَإِنَّ الْخُرُورَ فِي اللُّغَةِ الْمُقِيدَ بِالسُّجُودِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِوَضْعِ الْوَجْهِ عَلَى الْأَرْضِ (٢).

(١) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (٢٥٩/٥)، وزاد المسير، لابن الجوزي، (٤٧٤/٢)، والتفسير الكبير، للرازي، (١٦٨-١٦٩)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٦٤/٩)، وأنوار التنزيل، للبيضاوي، (٣٠٩/٣)، ومدارك التنزيل، للنسفي، (١٣٥/٢)، ولباب التأويل، للخازن، (٥٥٦/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٣٢٧/٦)، واللباب، لابن عادل، (٢١٣/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (١٢٥/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٧٧/٣)، وروح المعاني، للآلوسي، (٥٨/١٣)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٥٦/١٣).

(٢) انظر: جامع البيان، للطبري، (٣٥٤/١٣)، ومعاني القرآن، للنحاس، (٤٥٨/٣)، والكشف والبيان، للثعلبي، (٢٥٩/٥)، والنكت والعيون، للماوردي، (٨٢/٣)، ولطائف الإشارات، للقشيري، (٢٠٨/٢)، ومعالم التنزيل، للبغوي، (٥١٥/٢)، وزاد المسير، لابن الجوزي، (٤٧٤/٢)، والتفسير الكبير، للرازي، (١٦٨-١٦٩)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٦٤/٩)، وأنوار التنزيل، للبيضاوي، (٣٠٩/٣)، ومدارك التنزيل، للنسفي، (١٣٥/٢)، ولباب التأويل، للخازن، (٥٥٦/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٣٢٧/٦)، واللباب، لابن عادل، (٢١٣/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (١٢٥/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٧٧/٣)، وروح المعاني، للآلوسي، (٥٨/١٣)، والتحرير والتنوير، لابن عاشور، (٥٦/١٣).

الوجه الثاني: راجع إلى الله - سبحانه -^(١).

والمعنى: إنَّ الأبوين والإخوة خروا لله سجداً^(٢).

الوجه الثالث: راجع إلى يوسف عليه السلام، واللام للتعليل^(٣).

والمعنى: إنَّ الأبوين والإخوة خروا لأجله - يعني يوسف عليه السلام سجداً^(٤).

تعقيب:

هذه الآية الكريمة تنقل حدثاً من أحداث النهاية لقصة يوسف عليه السلام، وهو

مشهدُ تأويلِ الرؤيا ﴿يَأْتِي إِيَّيَ رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي

(١) انظر: الكشف والبيان، للثعلبي، (٢٥٩/٥)، وزاد المسير، لابن الجوزي، (٤٧٤/٢)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٦٤/٩)، وأنوار التنزيل، للبيضاوي، (٣٠٩/٣)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٣٢٧/٦)، وفتح القدير، للشوكاني، (٧٧/٣).

(٢) انظر: معاني القرآن، للنحاس، (٤٥٨/٣)، والكشف والبيان، للثعلبي، (٢٥٩/٥)، والنكت والعيون، للماوردي، (٨٢/٣)، ومعالم التنزيل، للبعوي، (٥١٥/٢)، وزاد المسير، لابن الجوزي، (٤٧٤/٢)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٢٦٤/٩)، وأنوار التنزيل، للبيضاوي، (٣٠٩/٣)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٣٢٧/٦)، وفتح القدير، للشوكاني، (٧٧/٣).

(٣) انظر: التفسير الكبير، للرازي، (١٦٩/١٨)، وأنوار التنزيل، للبيضاوي، (٣٠٩/٣)، ومدارك التنزيل، للنسفي، (١٣٥/٢)، ولباب التأويل، للخان، (٥٥٦/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٣٢٧/٦)، واللباب، لابن عادل، (٢١٣/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (١٢٥/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٧٧/٣)، وروح المعاني، للآلوسي، (٥٨/١٣).

(٤) انظر: التفسير الكبير، للرازي، (١٦٩/١٨)، وأنوار التنزيل، للبيضاوي، (٣٠٩/٣)، ومدارك التنزيل، للنسفي، (١٣٥/٢)، ولباب التأويل، للخان، (٥٥٦/٢)، والبحر المحيط، لأبي حيان، (٣٢٧/٦)، واللباب، لابن عادل، (٢١٣/١١)، وغرائب القرآن، للنيسابوري، (١٢٥/٤)، وفتح القدير، للشوكاني، (٧٧/٣)، وروح المعاني، للآلوسي، (٥٨/١٣).

سَجِدِينَ ﴿ [يوسف: ٤]، حيث صارت واقعا حقيقيا (وَرَفَعَ أَبْوِيَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا)، وقد اختلف في تقدير مرجع ضمير الغيبة المنسبك بعد حرف الجر في (لَهُ) على ثلاثة أوجه، ذكرها الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) كما ذكرها كثير من المفسرين قبله.

والوجه الأول مروى عن ابن عباس^(١)، وكذلك الثاني^(٢)، والثالث مروى عنه أيضا من رواية عطاء^(٣).

وقد استبعد الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) الوجهين الثاني والثالث، فقال عن الوجه الثاني: "وهو بعيد جدا"^(٤)، وقال عن الثالث: "وفيه أيضا بعد"^(٥).

ومقتضى حكمه على هذين الوجهين بالاستبعاد أنه يرجح الوجه الأول، وهو ما رجحه - كذلك - البغوي (ت ٥١٦هـ) حيث يقول: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ يعني: يعقوب وخالته وإخوته، وكانت تحية الناس يومئذ بالسجود، ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الأرض؛ وإنما هو الانحناء والتواضع، وقيل: وضعوا الجباه على الأرض، وكان ذلك على طريق التحية والتعظيم لا على طريق العبادة، وكان ذلك جائزا في الأمم السالفة؛ فنسخ في هذه الشريعة، وروى عن ابن عباس أنه قال: معناه: خروا لله سجدا بين يدي يوسف، والأول أصح^(٦).

(١) انظر: جامع البيان، للطبري، (٣٥٥/١٣).

(٢) انظر: النكت والعيون، للماوردي، (٨٢/٣).

(٣) انظر: التفسير الكبير، للرازي، (١٦٩/١٨).

(٤) فتح القدير، للشوكاني، (٧٧/٣).

(٥) المصدر نفسه، (٧٧/٣).

(٦) معالم التنزيل، للبغوي، (٥١٥/٢).

والفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) يرجح هذا الوجه -كذلك- مع عرض لبعض الشبهات والتساؤلات والإجابة عنها، فيقول: "وأما قوله ﴿وَحَرُّوا لَهُ سُجْدًا﴾ ففيه إشكال، وذلك لأنَّ يعقوب عليه السلام كانَ أبا يوسف، وحقُّ الأبوةِ عظيمٌ، قال تعالى: ﴿وَقَصَّ رُبَّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، فقرنَ حقَّ الوالدينِ بحقِّ نفسه، وأيضاً أنَّه كانَ شيخاً، والشابُّ يجبُ عليه تعظيمُ الشيخ.

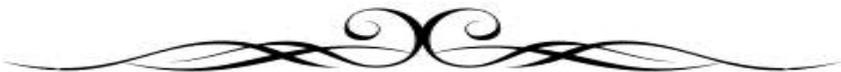
والقول الثالث: أنَّه كانَ منَ أكابرِ الأنبياءِ، ويوسفُ وإن كانَ نبياً إلا أنَّ يعقوبَ كانَ أعلى حالاً منه.

والقول الرابع: أنَّ جدَّ يعقوبَ واجتهادهُ في تكثيرِ الطاعاتِ أكثرُ منَ جدِّ يوسفَ، ولما اجتمعتْ هذه الجهاتُ الكثيرةُ فهذا يوجبُ أن يبالغَ يوسفُ في خدمةِ يعقوبَ، فكيفَ استجازَ يوسفُ أن يسجدَ له يعقوبُ؟ هذا تقريرُ السؤالِ.

والجوابُ عنه من وجوه:

الوجه الأول: وهو قولُ ابنِ عباسٍ في روايةٍ عطاءٍ أنَّ المرادَ بهذه الآيةِ أَنَّهُمْ خَرُوا لَهُ، أي: لأجلِ وجدانِهِ سجداً لله تعالى، وحاصلُ الكلامِ: أنَّ ذلكَ السجودَ كانَ سجوداً للشكرِ، فالمسجودُ له هو اللهُ، إلا أنَّ ذلكَ السجودَ إنما كانَ لأجلِهِ، والدليلُ على صحةِ هذا التأويلِ أنَّ قوله ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا﴾ مشعرٌ بأنَّهُمْ صعدوا ذلكَ السريرَ، ثمَّ سجدوا له، ولو أَنَّهُمْ سجدوا ليوسفَ لسجدوا له قبلَ الصعودِ على السريرِ؛ لأنَّ ذلكَ أُدخِلَ في التواضعِ.

فإن قالوا: فهذا التأويلُ لا يطابقُ قوله ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ والمرادُ منه قوله ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي



سَجِدِينَ ﴿يوسف: ٤﴾ قلنا: بل هذا مطابق، ويكون المراد من قوله ﴿وَأَلْسَمَسَ
وَأَلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَجِدِينَ﴾ لأجلي، أي: إنها سجدت لله لطلب مصلحتي وللسعي
في إعلاء منصبِي، وإذا كان هذا محتملاً سقط السؤال. وعندِي أَنَّ هذا التأويلَ
مُتَعَيِّنٌ؛ لأنَّهُ لا يستبعدُ من عقلِ يوسفَ ودينِهِ أَنَّ يرضى بأن يسجدَ لَهُ أبوه مع
سابقته في حقوقِ الولادةِ والشيخوخةِ والعلمِ والدينِ وكمالِ النبوةِ.

**والوجه الثاني في الجواب أن يقال: إنهم جعلوا يوسف كالقبة، وسجدوا
لله شكراً لنعمة وجدانه. وهذا التأويل حسن فإنه يقال: صليت للكعبة كما يقال:
صليت إلى الكعبة .**

قال حسان شعراً^(١): [البسيط]

مَا كُنْتُ أَعْرِفُ أَنَّ الْأَمْرَ مُنْصَرِفٌ :: عَنِ هَاشِمٍ ثُمَّ مِنْهَا عَنْ أَبِي حَسَنِ
أَلَيْسَ أَوَّلَ مَنْ صَلَّى لِقِبْلَتِكُمْ :: وَأَعْرِفَ النَّاسَ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ

وهذا يدلُّ على أَنَّهُ يجوزُ أَنْ يُقالَ: فلانٌ صلى للقبة، وكذلك يجوزُ أَنْ
يُقالَ: سجدَ للقبة، وقولُهُ ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا﴾، أي: جعلوه كالقبة، ثمَّ سجدوا لله
شكراً لنعمةِ وجدانه.

(١) لم أجد هذين البيتين في ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه، ووجدتهما مع ثلاثة أبيات
أخرى لبعض ولد أبي لهب بن عبد المطلب بن هاشم في الأخبار الموفيات، للزبير بن بكار
(ت ٥٢٥٦هـ)، ص ٤٦٥، ولخزيمة بن ثابت في الوافي بالوفيات، للصفدي، (١٩٢/١٣)،
والشذا الفياح من علوم ابن الصلاح، لبرهان الدين الأبناسي، (٥٠٩/٢)، وللفضل بن
عباس بن عتبة بن أبي لهب في الوافي بالوفيات، للصفدي، (١٨٣/٢١).

الوجه الثالث في الجواب: قد يسمّى التواضع سجوداً كقوله^(١): [الطويل]

تَرَى الْأَكْمَامَ فِيهَا سُجَّدًا لِلْحَوَافِرِ

وكان المراد - هاهنا - التواضع إلا أن هذا مُشكَلٌ؛ لأنّه تعالى قال: ﴿وَحَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ والخروج إلى السجدة مشعرٌ بالإتيان بالسجدة على أكمل الوجوه، وأجيب عنه: بأنّ الخروج قد يعني به المرور فقط، قال تعالى: ﴿لَمْ يَخْرُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعَمِيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣] يعني: لم يمرّوا.

الوجه الرابع في الجواب:

أن نقول: الضمير في قوله ﴿وَحَرُّوا لَهُ﴾ غير عائد إلى الأبوين لا محالة، وإلا لقال: وخرّوا له ساجدين، بل الضمير عائد إلى إخوته، وإلى سائر من كان يدخل عليه لأجل التهنئة، والتقدير: ورفع أبويه على العرش مبالغة في تعظيمهما، وأمّا الإخوة وسائر الداخلين فخرّوا له ساجدين.

(١) هذا عجز بيت لزيد الخيل رضي الله عنه، وصدرة: بجمع تَصَلُّ البُلُق في حَجَرَاتِهِ. انظر: شعر زيد الخيل الطائي، ص ١١٠، والكامل في اللغة والأدب، للمبرد، (٢/٢١٨)، والمعاني الكبير، لابن قتيبة، (٢/٨٩٠)، وجامع البيان، للطبري، (١/٧١٥)، (٢/١٣٧) ط دار هجر، ويقول الأستاذ/ محمود محمد شاكر تعليقاً على هذا البيت في تفسير الطبري (٢/١٠٤) ط شاكر: "والباء في قوله "بجمع" متعلقة ببيت سالف هو: بني عامر، هل تعرفون إذا غدا * أبو مَكْنَفٍ قد شدَّ عقدَ الدوابرِ، والبلق جمع أبلق وبلقاء: الفرس يرتفع تحجيلها إلى الفخزين. والحجرات جمع حجرة (بفتح فسكون): الناحية. والأكم (بضم فسكون، وأصلها بضمّتين) جمع إكام، جمع أكمة: وهي تل يكون أشد ارتفاعاً مما حوله، دون الجبل، غليظ فيه حجارة. قال ابن قتيبة في المعاني الكبير: "يقول: إذا ضلت البلق فيه مع شهرتها فلم تعرف، فغيرها أخرى أن يضل. يصف كثرة الجيش، ويريد أن الأكم قد خشعت من وقع الحوافر". وفي المطبوعة هنا "فيه" والجيد ما أثبتته، والضمير في "منه" للجيش أو الجمع".

فإن قالوا: فهذا لا يلائم قوله ﴿وَقَالَ يَتَابَتَ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَى مِن قَبْلُ﴾.

قلنا: إنَّ تعبيرَ الرؤيا لا يجبُ أن يكونَ مطابقاً للرؤيا بحسبِ الصورةِ والصفةِ من كلِّ الوجوه، فسجودُ الكواكبِ والشمسِ والقمرِ تعبيرٌ عن تعظيمِ الأكابرِ من الناسِ له، ولا شكَّ أنَّ ذهابَ يعقوبَ معَ أولادهِ من كنعانِ إلى مصرَ لأجلِهِ في نهايةِ التعظيمِ له، فكفى هذا القدرُ في صحةِ الرؤيا، فأما أن يكونَ التعبيرُ مساوياً لأصلِ الرؤيا في الصفةِ والصورةِ فلم يوجبهُ أحدٌ من العقلاء.

الوجهُ الخامسُ في الجوابِ:

لعلَّ الفعلَ الدالَّ على التحيّةِ والإكرامِ في ذلكِ الوقتِ هوَ السجودُ، وكانَ مقصودُهُم من السجودِ تعظيمُهُ، وهذا في غايةِ البعد؛ لأنَّ المبالغةَ في التعظيمِ كانتُ أليقَ بيوسفَ منها بيعقوبَ، فلو كانَ الأمرُ كما قلتم، لكانَ من الواجبِ أن يسجدَ يوسفُ ليعقوبَ عليه السلام.

والوجهُ السادسُ فيه أن يقالَ:

لعلَّ إخوتهَ حملتُهُم الأنفةُ والاستعلاءُ على ألا يسجدوا له على سبيلِ التواضعِ، وعلمَ يعقوبُ عليه السلام أنهم لو لم يفعلوا ذلكَ لصارَ ذلكَ سبباً لثورانِ الفتنِ وظهورِ الأحقادِ القديمةِ بعدَ كمونها فهوَ عليه السلام مع جلالَةِ قدرِهِ وعظمِ حقِّهِ بسببِ الأبوةِ والشيخوخةِ والتقدمِ في الدينِ والنبوةِ والعلمِ فعلَ ذلكَ السجودِ، حتّى تصيرَ مشاهدتُهُم لذلكَ سبباً لزوالِ الأنفةِ والنفرةِ عن قلوبِهِم، ألا ترى أنَّ السلطانَ الكبيرَ إذا نصبَ محتسباً فإذا أرادَ ترتيبَهُ مكنةً في إقامةِ الحسبةِ عليه ليصيرَ ذلكَ سبباً في ألا يبقى في قلبِ أحدٍ منازعةً ذلكَ المحتسبِ في إقامةِ الحسبةِ فكذا ها هنا.



الوجه السابع:

لعلَّ الله تعالى أمرَ يعقوبَ بتلكَ السجدةِ لحكمةٍ خفيةٍ لا يعرفُها إلا هوَ كما
أنَّهُ أمرَ الملائكةَ بالسجودِ لآدمَ لحكمةٍ لا يعرفُها إلا هوَ، ويوسفُ ما كانَ راضياً
بذلكَ في قلبه إلا أنَّه لما علمَ أنَّ اللهَ أمرَهُ بذلكَ سكتَ^(١).

وهكذا أطلَّ الفخرُ الرازيُّ (ت ٦٠٦هـ) النَّفسَ حولَ معنى الوجهِ الأولِ
والثاني متسائلاً ومجيباً، وأياً ما كانَ الأمرُ فالتوجيهاتُ الثلاثةُ واردةٌ، ومعانيها
سائغةٌ.

وعندَ النظرِ في هذهِ المعاني للجملةِ القرآنيةِ الكريمةِ ﴿وَحَرُّوا لَهُ سُجْدًا﴾
يتضحُ مدى الإيجازِ في الجملةِ والسعةِ في الدلالةِ.

(١) التفسير الكبير، للرازي، (١٦٨/١٨-١٧٠)، واللباب، لابن عادل، (٢١٣/١١-٢١٥).



الخاتمة

أولاً- أهم النتائج :

* إن ألفاظ القرآن الكريم مختارة اختياراً ربانياً معبراً، وهذه الألفاظ منظومة نظماً إلهياً معجزاً باهراً.

* الضمائر من ألفاظ القرآن الكريم المعبرة بإيجاز، وقد سمح موقعها المكاني في بعض الجمل القرآنية بتعدد المعنى؛ مما أضاف إلى إيجازها إيجازاً، وهذا من أسرار الإعجاز البياني القرآني.

* إذا احتمل تأويل بعض ألفاظ القرآن أكثر من معنى، فقد تكون هذه المعاني مقصودةً معاً ما لم يقم مانعٌ بدليل شرعيٍّ آخر.

* ضمير الغيبة من الألفاظ التي تسهم في بناء القصة القرآنية بصورة كبيرة، وكلما طالت أحداث القصة كثرت هذه الضمائر.

ثانياً- التوصيات:

* أوصي بتتبع مرجع ضمير الغيبة في السرد القصصي القرآني وإبراز ما يسهم به من سعة المعاني.

* أوصي بإنعام النظر في الكتب التفسيرية المعنية بنحو العربية لتقديم دراسات نحوية دلالية قرآنية تدلُّ على مرونة الدرس النحوي وخصوبته وإسهامه في تحديد المعاني.

* أوصي بالدعوة إلى الموسوعية في الدراسات العربية بشقيها الشرعي واللغوي؛ لأنَّ الوشيجة بينهما قوية، وتحقيق السعة الفكرية والرحابة البحثية رهين الجمع بينهما، وإيجاد التزاوج بينهما سيفضي إلى ذرية طيبة من البحث الذي يثري المكتبة الإسلامية والعربية.



المراجع

- ١- الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي، د/ محمد بن عبد الله بن حمد السيف، الطبعة الأولى، دار التدمرية، الرياض، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٢- الأخبار الموفقيات، للزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور سامي مكي العاني، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود)، لأبي السعود (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، بلا طبعة، بلا تاريخ.
- ٤- إعراب القرآن، للنحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: د/ زهير غازي زاهد، الطبعة الثالثة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- ٥- الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ)، تحقيق: د/ إحسان عباس، د/ إبراهيم السعافين، الأستاذ بكر عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الطبعة الثالثة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٦- الإغفال (وهو المسائل المصلحة من كتاب معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج (ت ٣١١هـ)، لأبي علي الحسن بن أحمد الفارسي (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق وتعليق: د/ عبد الله بن عمر الحاج إبراهيم، أبو ظبي: المجمع الثقافي، دبي، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ٢٠٠٣م.
- ٧- أمالي ابن الحاجب، لأبي عمرو عثمان بن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، تحقيق: د/ فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، بلا طبعة، ١٤٠٩هـ.
- ٨- أمالي الزجاجي، للزجاجي (ت ٣٣٧هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت- لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.



- ٩- إنباه الرواة على أنباه النحاة، لعلي بن يوسف القفطي (ت ٦٤٦هـ)، دار الفكر العربي- القاهرة ومؤسسة الكتب الثقافية- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ١٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ت ٦٩١هـ)، تحقيق: عبد القادر عرفات حسونة، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ١١- البحر المحيط (تفسير أبي حيان)، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ١٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- ١٣- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١٤- التبيان في إعراب القرآن، (أو إملأ ما منَّ به الرحمن)، للعكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد الجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه، بدون رقم طبعة وتاريخ.
- ١٥- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
- ١٦- التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: د/عبد الله الخالدي، الطبعة الأولى، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤١٦هـ.
- ١٧- التصريح على التوضيح، لخالد الأزهرى (ت ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.



- ١٨- تفسير الإمام مجاهد بن جبر (ت ١٠٢هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- ١٩- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب (تفسير الفخر الرازي)، للفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- ٢٠- تفسير مقاتل بن سليمان، لمقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- ٢١- التفسير والمفسرون، د/ محمد حسين الذهبي (ت ١٣٩٧هـ)، الطبعة السابعة، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م.
- ٢٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)، لابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ٢٣- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، للقرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- ٢٤- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب، للبغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ٢٥- الدر المصون، للسمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، الطبعة الأولى، دار القلم، دمشق - سوريا، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.



- ٢٦- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، لمحمد عبد الخالق عزيمة (ت ١٤٠٤هـ)، دار الحديث، القاهرة، بدون رقم طبعة وتاريخ.
- ٢٧- دور السياق في تقدير مرجع الضمير في الدراسات اللغوية والقرآنية، د/ محمد أحمد خضير، العدد الأول، مجلة علوم اللغة، المجلد الثاني، ١٩٩٩م.
- ٢٨- ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، دراسة وتحقيق: الدكتور عادل سليمان جمال، مطبعة المدني، بلا طبعة، بلا تاريخ.
- ٢٩- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للآلوسي (ت ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا طبعة، بلا تاريخ.
- ٣٠- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- ٣١- زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (ت ٤٥٣هـ)، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهرسه: د/ صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- ٣٢- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٣٣- الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ)، لبرهان الدين الأبناسي (ت ٨٠٢هـ)، تحقيق: صلاح فتحي هلل، مكتبة الرشد- الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.



- ٣٤- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لابن عقيل (ت ٥٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، الطبعة العشرون، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ٣٥- شرح قطر الندى، لابن هشام (ت ٥٧٦١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الحادية عشرة، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م.
- ٣٦- شعر زيد الخيل الطائي جمع ودراسة وتحقيق، تحقيق: الدكتور أحمد مختار البزرة، دار المأمون للتراث، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ٣٧- الشعر والشعراء، لابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، دار المعارف، ١٩٥٨م.
- ٣٨- ظاهرة التخفيف في النحو العربي، د/ أحمد عفيفي، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٤١٧هـ.
- ٣٩- العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: د/ مفيد محمد قميحة (الجزءان الأول والثاني)، د/ عبد المجيد الترحيني (الأجزاء من ٣: ٨)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م.
- ٤٠- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للقمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميران، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- ٤١- فتح القدير، للشوكاني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير- دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.



- ٤٢- الفهرست، لأبي الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم (ت ٤٣٨هـ)، دار المعرفة- بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- ٤٣- قضايا اللغة في كتب التفسير، د/ الهادي الجطلاوي، الطبعة الأولى، كلية الآداب، تونس، ١٩٩٨م.
- ٤٤- الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، من إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد- المملكة العربية السعودية.
- ٤٥- الكتاب، لسيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٤٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (تفسير الكشاف) للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ومعه كتاب الانتصاف، لابن المنير، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.
- ٤٧- الكشف والبيان (تفسير الثعلبي)، للثعلبي (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.
- ٤٨- لباب الآداب، للأمير أسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مكتبة السنة بالقاهرة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م [طبعة منشورة عن الطبعة الأولى سنة ١٣٥٤هـ].
- ٤٩- لباب التأويل (تفسير الخازن)، للخازن (ت ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.



- ٥٠- الباب في علوم الكتاب (تفسير ابن عادل)، لابن عادل (ت ٨٨٠هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٥١- لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، للقشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، الطبعة الثالثة.
- ٥٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، لابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- ٥٣- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (ت ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، الطبعة الأولى، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- ٥٤- مرجع الضمير في القرآن الكريم مواضعه وأحكامه وأثره في المعنى والأسلوب، د/ محمد حسنين صبره، دار غريب بالقاهرة، ٢٠٠١م.
- ٥٥- معالم التنزيل، (تفسير البغوي)، للبغوي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ٥٦- معاني القرآن الكريم، للنحاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.
- ٥٧- معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.



- ٥٨- المعاني الكبير، لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: المستشرق د/سالم الكرنكوي (ت ١٣٧٣هـ)، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني (ت ١٣٨٦هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد الدكن بالهند، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م] ثم صورتها: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م].
- ٥٩- نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي (ت ٥٨١هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي معوض، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ.
- ٦٠- النكت والعيون (تفسير الماوردي)، للماوردي (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون رقم طبعة وتاريخ.
- ٦١- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث- بيروت، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ٦٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (ت ٦٨١هـ)، تحقيق: د/ إحسان عباس، دار الثقافة- بيروت، ١٣٩٨-٨٨هـ.



فهرس الموضوعات

| رقم الصفحة | الموضوع | م |
|------------|----------------------------------------------------|----|
| ٢٠٩٧ | المقدمة | ١ |
| ٢٠٩٩ | تمهيد | ٢ |
| ٢٠٩٩ | الاختلاف في مرجع الضمير وتنوع المعنى | ٣ |
| ٢١٠٤ | ضمير الغيبة في قصة يوسف <small>عليه السلام</small> | ٤ |
| ٢١٠٨ | الموضع الأول | ٥ |
| ٢١١٣ | الموضع الثاني | ٦ |
| ٢١١٩ | الموضع الثالث | ٧ |
| ٢١٢٢ | الموضع الرابع | ٨ |
| ٢١٢٩ | الموضع الخامس | ٩ |
| ٢١٣٧ | الخاتمة | ١٠ |
| ٢١٣٨ | المراجع | ١١ |
| ٢١٤٦ | فهرس الموضوعات | ١٢ |

